

## العشق في الحكمة الشعرية للإمام الخميني

### د. دلال عباس

العشق والعاشق والمعشوق هي القضايا المحورية التي يدور حولها شعر الإمام الخميني في ديوانه. فالعشق هو موضوع الشعر العرفاني، والإمام من الشعراء المشهورين على مذهب ابن عربي في القرن العشرين. الموضوعات التي أمكن استقصاؤها في ديوان الإمام في هذا الباب هي: "أهمية العشق"، "مذهب العشق" "حقيقة العشق"، "أنواع العشق" "مقام العشق في عالم المعنى"، "ترجيح طريق العشق على طريق العقل" "سريان العشق في ذرات العالم"، "آثار العشق".

#### أهمية العشق:

العشق مظهر صفات الكمال كافة، خالق وقادرٌ وحيٌّ، باعث حرارة الإخلاص والمحبة، ونضارة عالم الوجود، وبهجته انعكاسٌ لأشعته؛ يقول الإمام في أحد أبياته الشعرية: إن العالم "شعاعٌ من أشعة العشق"، وهو ذو القدر والجلال، المهيمُن على الأسماء كلها. فالعشق في نهج الإمام مرادفٌ للوحدانية التي هي مقام الأسماء والصفات.

ماذا أقول، وما العالمُ إلا شعاعٌ من أشعة العشق

ذو الجلال هو، المهيمن، مالك الدهور والأزمنة<sup>1</sup>.

أما لفظة "ميكدة" [الحانة]، فأينما وردت في الديوان، هي مقام صراط الحقيقة المستقيم، وهي والعشق صنوان:

باب الصفاء وباب العشق يا الحانة

وجهك الفريد النضريبيتي، ونياط القلب أركانه<sup>2</sup>.

منذ اللحظة التي رفرفت فيها راية العشق، اضطربت عوالم الوجود وفارت، وكما يقول مولانا: "هذا الغناء الغناء، من العظيم الأعظم".

أواه، ما إن رفرفت راية العشق فوق العالمين

البشر والملائكة والجن أجمعون، خضعوا لحكم العشق ذاهلين،

وملائكة العرش شوقاً للحبيب يئنون نائحين،

والقدوسيون، الرؤوس والصدور من ألم العشق لاظمين<sup>3</sup>.

#### سريان العشق في الوجود:

لقد تردّد كلامٌ كثيرٌ في آثار العرفانيين حول سريان العشق في ذرات عالم الوجود، وهذا ما نلاحظه أيضاً في أبيات عديدة من شعر الإمام، فهو يرى أنّ "نار العشق المستعرة" جليّةٌ في الأرواح جميعاً:

<sup>1</sup>- ديوان الإمام الخميني ص 62.

<sup>2</sup>- م.ن ص 58.

<sup>3</sup>- م.ن ص 134.

أنا عاشق لك، عاشقٌ، ولا يشفيني غيرُ وصالك،  
من ذا الذي لم تستعر هذه النار في روحه وكيانه لفرط ودلالك<sup>4</sup>  
إنَّ عشق الحقّ ليس طارئاً وحادثاً، وإنما هو ممتزجٌ بحقيقة الأرواح منذ الأزل:  
في حانة العشق نحن المقيمون الدائمون  
كلنا من شفاه تلك الأقداح ثملون<sup>5</sup>.  
إنَّ العشق لا بداية له ولا نهاية، إنّه أزليّ وأبدّي:  
من عهد "ألسْتُ" تجذّر في القلب عشق الحبيب،  
العشق لا بداية له، فكيف تكون النهاية في اللهب<sup>6</sup>.

### منزلة العشق:

إنَّ مقام العشق هو مرتبة الوجدانية والأسماء والصفات، فالعشق مظهر اسم الله، وسيّد الأسماء  
والصفات الإلهية:

ماذا أقول، وما العالمُ إلا شعاع من أشعة العشق،  
ذو الجلال هو، المهيمن، مالك الدهور والأزمنة<sup>7</sup>.  
إذا كانت منزلة جبريل والروح الأمين هي منزلة العقل وعالم الجبروت، فمقام الوجدانية الذي هو فوق  
الجبروت ومسيّره والموجد له، هو مقام العشق ومنزلته. لذا فالعشق هو درجة ظهور الأسماء الإلهية  
الحسنى، ومساوٍ لظهور الأئمة المعصومين:  
عاشق الملاح من المدام جنونه  
وعشاق الله من أقداح طينتنا يسكرون،  
نحن العشاق لقمة جبل الهداية  
نبحث في "سدرة المنتهى" عن الروح الأمين،  
أنيروا الحانة أيها الدراويش  
فطائر الجنة يسكرنا، يسكب المدام في حروفنا،  
قل للمغنين أن يضاعفوا الطرب  
فيدّ من الصومعة العليا تشير باتجاهنا<sup>8</sup>.

مقام العشق أعلى من مقام العرش: "أساسه أرفع من بوابة العرش الأعلى"<sup>9</sup>، وأدنى من مقام الإنسان  
الكامل الباطني: "بحر العشق قطرة من قطرات سكري"<sup>10</sup>.

<sup>4</sup>- م.ن ص 66.

<sup>5</sup>- ديوان الإمام الخميني ص 179.

<sup>6</sup>- م.ن ص 65.

<sup>7</sup>- م.ن ص 62.

<sup>8</sup>- م.ن ص 56.

<sup>9</sup>- م.ن ص 60.

<sup>10</sup>- م.ن ص 58.

من هنا فإنّ العشق بحسب تعبير مولانا، أبعد من الكفر والدين. وجنةُ العاشقين لا تنتسب إلى جنّة الأبرار. إن مرتبة العاشقين في شعر الإمام هي مرتبة "السابقين" و"المقربين" و"المخلصين".

يومَ الحشر، حين يدخل الصالحون الجنّة مقيمين

لن يكون صراطُ أحدٍ كصراط العاشقين<sup>11</sup>.

### حقيقة العشق:

العشق كمعظم الأمور الوجدانية، كالحرية والجمال، يدرك ولا يوصف.

سرّ الذهول والسكر والنشوة للعاشقين

لا تُعبّر عنه الكلمات، ونحن نجهل المرشدين<sup>12</sup>

"نور الشمس دليل على الشمس"، يقول الإمام:

أنا عاشق عاشقٌ، ولست أملك غير عشقك

أنا عاشقٌ، ولا برهان على العشق لديّ سوى عشقك<sup>13</sup>

أينما وردت لفظة "العشق" في ديوان الإمام، تدلّ على المعاني اللدنيّة، فما وُضعت له الألفاظ إنما هو معانٍ عامة، لذا فإنّ دلالة النور على النور الحسيّ مجازية، وحقيقة النور الظاهر بذاته والمظهر لغيره حقيقة. وعلى هذا النحو معظم ألفاظ الشعر العرفانيّ كالعشق والسكر والمُدّام والغناء والوجد. إنّ حقيقة العشق موجودة لدى الملائكة المقربين، وفي عوالم الأسماء والصّفات، وتطلق على العشق الأرضيّ مجازاً.

يعتقد العرفانيون أنّ الحضرات الخمس التي يسميها الفلاسفة عوالم الوجود متطابقة. فما في العالم الأدنى هو منزلٌ من العوالم العليا، وما هو في العوالم العليا حقيقة موجودات العوالم الدنيا. ففي القرآن الحديدُ منزلٌ أيضاً، وحقيقته في "أم الكتاب" أي مخزن الحقائق. وهكذا فإنّ العشق أمرٌ معنويّ، العشق الجسمانيّ شعاعٌ من أشعته. أما المذموم الذي نهى عنه الشارع المقدّس من العشق المجازيّ فهو "الهوس" وليس العشق، فالعشق جسدياً كان أم روحياً طاهرٌ مقدّس، وعلى أساس هذا المبدأ يفسر العرفانيون حديث "من عشق وكنتم وعفّ مات شهيداً"

إعتكف في دار الحبيب، ففي منهج العشق

من قال: خطيئة على وجنة الحبيب القبل<sup>14</sup>!

الفرق بين العشق الروحي والعشق الجسدي، أن الوصال في الأول يذكي أوار ظمأ العشق، أما في الثاني، فالوصال مقدّمة الانطفاء، وقد قال ابن عربي إن تقبيل شفّتي الحبيب يضاعف عشقه له، أما الإمام فعبر عن ذلك بقوله:

شربت من تلك الشفاء ماء الحياة

<sup>11</sup> - ديوان الإمام ص 105.

<sup>12</sup> - نفسه ص 165

<sup>13</sup> - نفسه ص 150.

<sup>14</sup> - نفسه ص 110.

ألفَ كأسٍ ولما أرتوي،  
كما الاسكندر لا يرتوي من كأسه  
ظمًا لنور الخضرِ  
إلهي أيّ سرّ في العشق أخفيتَ  
وفي وجهي حبيبي البابَ أقفله  
وأنا أناجيه بقلب حزين منكسر<sup>15</sup>.

### العلاقة بين العشق والجمال:

هل الجمال تابع للعشق، أم أن العشق من تجليات الجمال؟  
لقد أجاب العرفانيون عن هذا السؤال إجابات متنوعة. فالبعض كحافظ يعقدون أن الحسن والجمال  
يوجد العشق.

شعاعُ حسنك قد تجلى منذ الأزل  
فانوجدَ العشقُ، وأضرمَ النارَ في العالم، فاشتعل.  
والبعض كمولانا، في ضربه "المجنون" مثلاً على سوء اختيار الحبيب (ليلي)، يردّ الجمال إلى  
العاشق. أما الإمام فيرى في بعض الأبيات أنّ الحسن هو موجدُ العشق:  
أصاب شعاعُ حسنك الروحَ، فأحرقها  
وجاء العشقُ ليداوي الآلام فأرهبها<sup>16</sup>.  
وفي بعض الأبيات يرى أنّ الجمال مرتبط بالعاشق:  
عرفت زليخا معجزة العشق في ندائك  
فصار يوسف في نظرها جميلاً إلى حدّ بقائك<sup>17</sup>.  
من المسلّم به أنّ الأصالة للجمال، وإنه هو الذي يجعل السالك عاشقاً، مفتوناً ومجنوناً. إكان جمالُ  
المعشوق واقعياً، أم أنّ خيالَ المعشوق هو الذي صورّه كذلك، وفي كلّ الأحوال الجمال هو المقصود  
والعشق تابعٌ وفرعٌ منه:

منذ اليوم الذي عشقتُ فيه جمالك  
صرت مجنون وجهك الفريد ودلالك،  
رأيت أن ليس في العالمين أحدٌ غيرك  
فذهلتُ عن نفسي، وغرقت في بحر كمالك<sup>18</sup>.

ويقول:

يا ذا الجمال الآخاذ، متألّم أنا، حزينٌ لفراقك

<sup>15</sup> - ديوان الإمام ص 115.

<sup>16</sup> - نفسه ص 58.

<sup>17</sup> - نفسه ص 89.

<sup>18</sup> - نفسه ص 220.

### النسبة بين العاشق والمعشوق:

وصف العاشق والمعشوق في الأدب العرفاني بأوصاف جميلة، يرى حافظ أن العاشق محتاجٌ للمعشوق، والمعشوق مشتاقٌ للعاشق؛ وهذا الموضوع له جذورٌ بعيدةٌ الغور في النصوص الدينية، ويحتاج وحده إلى بحثٍ مفصّل. وفي ديوان الإمام الخميني إشارات متفرقة إلى هذه النسبة، فالعاشق في نظره مظهر الحاجة والمعشوق رمزُ الدلال:

وجهك الصبوحُ، لماذا الحجاب، لماذا الدلال؟  
والعاشق يتحرق شغفاً لرؤية وجهك والجمال<sup>20</sup>،  
درب البيت للحبيب لِمَا أمَّهده  
قلبي يتفطر احتياجاً إليه، وهو مصرٌّ على الدلال<sup>21</sup>.  
ليلٌ هجرك طويلٌ لا يتجلي بصبحٍ، ووجهك محتجب  
أنت ممعُنٌ في دلالك، ونحن محتاجون إليك وفي انتظارك<sup>22</sup>.  
من الأوصاف الشائعة التي أطلقها العرفانيون أيضاً: البلبل والوردة:  
البلبل في الحديقة ينوح نواح العاشقين  
كأنما هو يتأوه غمّاً من قدوم الخريف.  
العاشق تاجر الجمال، والمعشوق هو الحسنُ الذي يأسر قلب العاشق:  
نحن جميعاً في تجارتنا ماضون  
وهو ماضٍ في استعباده لنا<sup>23</sup>.  
العاشق يطلب ظلَّ المعشوق ليتقياً به:  
دأبنا جميعاً البحث عن ظلِّ الملاك  
الملاك متخفٍ وأنا مريضٌ يشارف الهلاك<sup>24</sup>.  
العاشق مجازيٌّ أما المعشوق فحقيقي:  
أين رأسي وعقلي لأهديهما إليه؟  
وهو مالك الأنفس والأرواح جميعاً.  
العاشق هو الفراشة والمعشوق شمع وجوده:

<sup>19</sup> - نفسه ص 219.

<sup>20</sup> - ديوان الإمام الخميني ص 53.

<sup>21</sup> - نفسه ص 132.

<sup>22</sup> - نفسه ص 166.

<sup>23</sup> - نفسه ص 107.

<sup>24</sup> - نفسه ص 165.

فراشة أنا، أحرق وجهه الشمعي قلبي  
ظاهراً للعيان كان ولا يزال، وجهه البهي.

### خصوصيات طريق العشق:

العرفانيون جميعاً يؤمنون أن طريق العشق مليء بالبلاء والمصاعب والمشقات، فمولانا يرى أنه "وعرٌ ودامٍ": "العشق من بدايته وعرٌ ودامٍ"، أما حافظ فيرى أنه وإن كان طريقاً دامياً، إلا أنه يبدو للعاشق في البداية سهلاً وسالكاً:

بدا لي في البداية أمراً ميسوراً

لكن وقعت بعد ذلك المصاعب والمشاكل.

الإمام وصف طريق العشق أنه مليء بالمخاطر:

وقلت إنَّ طريق العشق شديد الخطرِ

أنا عاشقٌ أمري عسيرٌ، أبحث عن هذا الدربِ الخطيرِ<sup>25</sup>.

إن مصدر كلام الإمام، العرفانيين الحقيقيين القرآن والحديث، فبحسب المنطق الديني، هنالك صلة نسبٍ وقرابةٍ بين الابتلاء والمقامات المعنوية، فأهل الولاية مبتلون بالمصائب قبل غيرهم. وطريق الولاية هي نفسها طريق العشق، والاختلاف بينهما لفظي ليس إلا؛ وهي صعبةٌ ووعرةٌ للغاية. عانى الأنبياء والمرسلون والملائكة المقربون من مصاعبها ومزالقها. نهاية هذا المعبر الفناء، ومن لم يخلع ثوب الأناية والأثرة لن يتمكن من التقدم خطوةً واحدةً فيه:

العشق تيه وضياع وهو آيات الذهول

لن نصله مهما كنا صلفاً ندعي فيه الحلول<sup>26</sup>.

طريق العشق سرٌّ مخفيٌّ مكنونٌ "مقنّع بالسرِّ"، حجبته حميةٌ الحقّ تعالى عن غير المحارم:

العشق سرٌّ خفيٌّ، لدى العشاق أسرار

ونحن نجعل ما تخفيه أبصارُ.

العين تفضح سرّ الذهول والسكر لكن

لا يُدرك العشق لفظاً، لا تدرك مصادره<sup>27</sup>!

الإطلاع على سرّ الأسرار وحقائق القضاء والقدر الإلهيين إلا للعاشق، وقد حرّم الله عزّ وجلّ نعمة تجلّيه الذاتي على غير العاشقين:

لا تقصدنّ الخمارة كالأعمى أيها الفطن

إنها منزل العشق، فاخلع رداء الخديعة،

<sup>25</sup>- ديوان الإمام الخميني ص 160.

<sup>26</sup>- م. ن ص 52.

<sup>27</sup>- نفسه ص 165.

فالعشاق في ذلك المنزل جميعهم الوعيّ فاقدون،  
إذا كنت تعرف الرأس من القدم فلا تخطو إلى الداخل،  
أيها المفتون بالتسييح، المجاورُ في الدير  
لا تتأملنّ بقدر من شراب تلك الحانة،  
إن كنت تريد معرفة سرّ الأسرار  
فبعثر السّبحةَ حباتٍ، وكسر بوابةَ الديرِ الخربِ،  
إن كنت لا تملك السرّ، ولا تعرف طريق العشق  
فتنحّي، وافسح طريق العشق للسالك<sup>28</sup>.

قال أمير المؤمنين إن الانسان يستثقل تحمّل الحق؛ وطريق العشق كذلك إن بدا حلواً، لا يناله السالك إلا بعد سنين من الابتلاء والآلام. وهو غير طريق أهل الفلسفة والعرفان والإيمان والشهود والمعرفة والحكمة، وهو مختصّ بنظر الإمام- على مذهب حافظ الشيرازي- بالخلعاء (رندان) [السيء ظاهراً والحسن باطنهم]، الذين تخلّوا عن ما سوى الله، الذين يلقبون "بالمخلصين"، الخارجين منذ الأزل على سلطة الشيطان الداخلي والشيطان الخارجي، وفي شعر الإمام لفظة "رند: رندان" مرادفة لأهل الولاية والمحبة والعشق:

سنوات وأنت تبحث عن طريق العشق

هذا طريق خلعاء الحانة، ليس طريقاً سهلاً<sup>29</sup>.

في هذه المرتبة، عبادة الله خوفاً وطمعاً شركٌ جليّ، إن مقام العاشقين فوق مرتبة الجنة:

في الحشر يومٌ

نصيبُ الصالحين به

في جنّة الخلد،

لكنما العشق

أين وكيف ننزله

منزل العشق

في الأعلى، فوق جنّة الخلد<sup>30</sup>.

في الحقيقة الجنة والنار منزلتان من منازل وجود العاشق، نازلتان في متآت المنازل، القيامة إحداهما.

الأسس الفكرية للإمام الخميني والعشق:

يمكن التحقق من الأسس الفكرية للإمام من خلال مجموعتين من أشعاره:

<sup>28</sup>- الديوان، ص 124.

<sup>29</sup>- نفسه ص 700

<sup>30</sup>- نفسه ص 105.

المجموعة الأولى هي الأشعار التي يتبين من خلالها أنه يرجح نهج الإشراق والعشق على نهج الفلسفة والعلوم الرّسمية، هذا الترجيح لا يعني رفض الفلسفة، وإنما اعتبارها مقدّمة للدخول في المسالك الإشرافي، وعلى السالك أن يمزق حجاب الفلسفة لينال مقام العرفان والإشراق.

المجموعة الثانية، هي الأشعار الدّالة على أنّ المذهب الذي يتطابق وصرّاط الحقيقة المستقيم هو بنظر الإمام صراط العشق. أمّا سبيل الحكمة والعرفان والمعرفة والشهود والكلام، والزهد والأخلاق، وإن كان بينها وبين الصّراط المستقيم نسبٌ إلا أنها ليست هو.

#### المبدأ الأول: التضاد بين العقل والعشق:

ما طُرح في النصوص العرفانية تحت عنوان العقل والعشق، مرتبط بالتضادّ بين العشق وبين العقل كجزء من العقل المُعاش والعملي، فالعقل في هذه المنزلة مرتبط ارتباطاً كاملاً بالصّلف والغرور. ومن البديهي أنّ العارف الذي يُنكر الثنويّة، ويرى أن الله وحده هو مصداق الوجود، هو في صراع دائم مع حُجب الصّلف والتكبر والغرور، الظلمانية والنورانية على السّواء. إنّ ما ذمّه العارفون في الحقيقة ليس العقل، وإنما ما سمّي بحسب تعبير أمير المؤمنين "نكرا"، لأنّ العقل قد مُدح في الحديث أينما ورد، وعُدّ من جنود الرحمن، على خلاف الجهل قائد جيوش الشيطان. وعلى هذا النحو تكون الفلسفة التي تشغل على العلوم العقلية، وعلى نحو أعم العلوم الرّسمية من كلام وفقه وأخلاق وتفسير، مقدمات كلّها لسير الإنسان باتجاه الحقّ، أما إذا كانت لها الأصالة بذاتها، بحيث أن العالم يتوقف عند حدود الفلسفة لا يتخطاها، أو عند حدود تفسير القرآن والحديث، منكرًا ما وراءها، وما هو أبعد منها، فيقع حينئذ وراء حجاب الإنكار الذي هو أصفق الحجب، ويصبح عدوّاً للحقيقة.

لكنّ الفلسفة إن كانت جسر عبور إلى العرفان والشهود فإنّ العرفانيين لا يعادونها، ولا يعادون العقل، وإنما هم يعدّونه حسناً في موضعه. "حفظ المراتب" مبدأ مهمّ لدى المعارف. إن ذكر هذه النقاط يهدف إلى التوضيح لغير المتعمّقين في فكر الإمام، كي لا يذهب بهم الظن من خلال ظاهر أشعاره أنه يُنكر الفلسفة، فيرمونها باللاجدوى. وأقوال الإمام وسيرته أفضل شاهد على هذا الادّعاء. فلو لم يكن مؤمناً بالفلسفة، لما صرّف سنوات عمره الشّريف ووقته الثّمين في تدريس "الأسفار" و"الشفاء" للملاصدرا الشيرازي. ولقد أبدى الإمام في مرات عدّة رأياً إيجابياً بالحكمة اليونانية وفلسفة أرسطو.

النقطة التي أكد عليها الإمام هي أخذ "اعتبارات العلوم" في الاعتبار، فتحديد الفلسفة بالعرفان، وخط مراتب الحجب مضادّ لناموس الخلق. انطلاقاً من هذا التوضيح نبدأ مسيرتنا في شعر الإمام:

1- دليل الإمام على التضاد بين العشق والعقل، أو على التضاد بين منهج الإشراق ومنهج الفلسفة: أن من ثمار هاتين الطريقتين يتولّد السلوك، فثمرة منهج العشق "السكر وفقدان الوعي"، وثمرة شجرة الفلسفة "الوعي واليقظة". هنالك نسبٌ بين العشق والجنون، وبين الفلسفة والتعقل.

طريق العلم والعقل منفصلة عن الجنون

فناصب هذه الشباك وناثر البذور ليس مجنوناً<sup>31</sup>.



يستخلص من عبارة "نصب الشباك وجني البذور"، ان المقصود بالعقل المذموم لدى الإمام التوقف عند حدود الفلسفة ومحاصيل العلم والعقل.

"ان تتذوق طعم السكر إذا كان عقلك سليماً<sup>32</sup>".

ينتقد في مكان آخر شدة التعلق بالفلسفة ومحضها الأصالة:

نحن لعلائق المحتالين جاهلون<sup>33</sup>.

نحن عن اضطراب أهل الرأي غافلون،

سرّ سوداويتنا يجهله العاقلون،

نحن لعبثية أهل الفطنة جاهلون،

طريق العشق وسنته خارج حسابنا أنا وأنت،

من كان يقظاً وكان واعياً لن تسكره المدام.

ثمرة العشق السكر والذهول، وثمره العقل الوعي واليقظة والتجربة:

لقد أسكرني عشقك، ومن السكران

لا تطلبنّ حكمةَ المجربين الواعين<sup>34</sup>.

2- الدليل الثاني على ترجيح منهج الإشراق على الفلسفة يجب أن يُبحث عنه في "حدود العقل": ففي رأي حافظ "أن العقل كالندى يصب في البحر رقماً"، وعبر الإمام عن العلوم الرسمية والفلسفة با "الدّكّة" [الدكان الصغير].

اقفل دكان العلم والعقل، وافتح باب العشق

فالعشق هو الذي يضمن لك الرّيح<sup>35</sup>.

للفلسفة أطرٌ محدّدة، وتتبع مبادئ خاصة، وتحتاج إلى علم المنطق، وإلى تعلّم طرق استدلال محدّدة، لكنّ طريق العشق خارج نطاق الأطر العاديّة: "طريق العشق وسنته خارج حسابنا أنا وأنت".

3- الفلسفة هي العلم بالحقائق، والعرفان والإشراق هما الوصول إلى الحقيقة، والإنمحاء بها، وبين المقامين مسافة بعيدة المدى. الفيلسوف يتعرف ماهية الموجودات، والفلسفة تعجز عن إدراك حقيقة الوجود؛ من هنا يرى العارف أن أدوات الفيلسوف قاصرةٌ وغيرُ كافية، والفيلسوف يتوصل من طريق الحواس الماديّة إلى الإدراك الخيالي والعقلي، لكنّ من يريد الوصول إلى الحقيقة يحتاج إلى عينٍ أخرى وإلى أذنٍ أخرى، وبما أنّ الفيلسوف لا يملك العين والأذن المطلوبتين، فقد سمى العرفانيون الفلاسفة: الصمّ والعميان، وقد ورد مصطلح "العميان" مراتٍ عديدة في المثنوي نعتاً للفلاسفة، والإمام كذلك استخدم هذه اللفظة أكثر من مرّة:

<sup>32</sup> - م.ن ص 242

<sup>33</sup> - م.ن ص 165.

<sup>34</sup> - الديوان ص 177.

<sup>35</sup> - م.ن ص 42.

بالفلسفة لا يمكن العثور على الطريق إليه،  
بالعين العلية لا يمكن الوصول إلى منزلته،  
أطلق سراح هذه الفلسفة، فبغير أجنحة العشق  
لا يُمكن العثور على إشراق وجهه الجميل.

4- الفلسفة تتعامل مع أحد أجزاء الوجود البشري أي الذهن، لكنّ العرفان مرتبطٌ بحقيقة وجود الإنسان. إنَّ عالم الذهن هو عالم الثبات، أما الوجود الإنساني ففي صيرورةٍ دائمة، من هنا فإنّ الفلاسفة وأصحاب العلم الحسوليّ الثابت، هادئون ومحتاطون ومطمئنون، والعرفانيون في المقابل أهل الحضور، وأهل القيام والحركة والألم والفوران والحرارة والمغامرة والمقاومة:

العقلاء يجهلون سرّ سوداويتنا

ونحن نجهل عقم أصحاب الوعي<sup>36</sup>.

وفي زمرة العاشقين المولّيين ننن ونتضرّع عاجزين

في حوزة أهل النّظر نحن كالتلج باردين<sup>37</sup>.

المبدأ الثاني: مذهب العشق:

مذهب العشق في مسلك الإمام أكثر خصوصيّة من مذهب الإشراق والعرفان ونسبته إليه كنسبة الكعبة إلى المسجد الحرام، فكّل ما هو موجودٌ في الكعبة موجودٌ في المسجد، لكن ليس كلّ من دخل المسجد الحرام، يكون قد وصل إلى الكعبة:

نحن أبناء العشق الفائضُ المُنا

في حرب دائمة مع الأدياء المعتكفين في المسجد،

لا عهدَ بيننا وبين الأدياء في طلبه

لم نعقد صلحاً مع الجاهلين به،

نحن في الحانة مع المخمورين فاقدو الوعي ثملون،

وفي معبد الأوثان لعبدة الأصنام معاهدون،

حُمراً كالورود حياةً في حلقة الذاهلين،

ومصفرو الوجوه في زمرة الدنيويين،

وفي زمرة الوالهيين نتضرّع ونئن عاجزين،

وفي حوزة أهل الرأي كالتلج باردين،

ونحن في صراع مع الصوفية والدرأويش والمتزهدين،

ومع الندامى، نتجمع كالذين في الصحراء تائهين،

وعما في قلوبنا لسنا لأحد مصرّحين

<sup>36</sup>- الديوان ص 165.

<sup>37</sup>- م.ن ص 163.

نحن أهل الأحزان جميعاً نحن المشردين<sup>38</sup>.

في أحد الأبيات يصرّح الإمام أن البنيان الأصيل الوحيد هو العشق:

لقد انجذبت، وهدمت كل بنيان عدا بنيان العشق

أفض عليّ، أنا الذي لا بنيان له سوى العشق<sup>39</sup>.

إن كنت سالكاً طريق العشق فاطرح الخرقّة والسجّادة

فبغير العشق لن تعثر على طريق هذا المنزل،

إذا كنت من أهل القلوب فاعرض عن الصوفيّ والزاهد

فما من طريق في هذا المحفل إلا لأهل القلوب.

هذه الانتقادات توضح مسألتين مهمتين:

الأولى: أنّ عرفان الإمام مصطلح مختلف عن طريقة أهل التصوف والعرفان وإن كان يشبهها في كثير من الحالات.

الثانية: أنّ الإمام العارف لا يُساوي في المنزلة بين العاشق وبين أهل الكشف والشهود.

عشقتك طردني من المدرسة ومن حلقة الصوفيّين

وجعلني عبداً انتظر على باب الخمار<sup>40</sup>.

أحد الأبيات يشير بشكل واضح إلى المراحل الثلاث: الفلسفة والعرفان والعشق:

العلم والعرفان لا يوصلان إلى مقام الوصل

فطريق الباطل لا تؤدّي إلى منزل العشاق<sup>41</sup>.

في بيت آخر يعبر عن مقامي: الحكمة والعرفان بتعقل ذي الرأي وحنكته ويقظته، وعن مقام العشق بحيرة السوداويين والسكري.

نحن لعلائق المحتالين جاهلون

نحن عن تشوش أهل الرأي غافلون،

سرّ سوداويتنا يجهلة العاقلون

نحن لعبثية أهل الفطنة جاهلون<sup>42</sup>.

وفي أبياتٍ أخرى عبّر عن المقصود بأسلوب أكثر حدّة:

في حربٍ نحن مع الصوفيّ والعارف والدرويش

نطعن على الفلسفة وعلم الكلام،

هجرنا المدرسة، وابتعدنا عن الخلق

نبدّنا المفكرين، ونبدّنا العوام<sup>43</sup>.

<sup>38</sup> - م.ن ص 63.

<sup>39</sup> - م.ن ص 150.

<sup>40</sup> - الديوان ص 82.

<sup>41</sup> - م.ن ص 67.

<sup>42</sup> - م.ن ص 82.

بنظر الإمام العارف نسيب السالك، والعاشق نسيب الواصل، وشتان ما بين مرتبة الواصلين ومرتبة السالكين! لذا نحن نعتقد أن مراتب المعرفة لدى الإمام تقطع ثلاث مراحل: المعرفة الفلسفية والحكمية، والمعرفة الذوقية والشهودية، ومعرفة الولاية والعشق. مرحلة العشق هي مرحلة الفناء الحقيقي، والبقاء يحصل بعد الفناء.

تتطابق مبادئ أفكار الإمام العرفانية في شعره تطابقاً كاملاً مع العرفان الشيعي، فالفلسفة والعرفان والعشق تناسب على التوالي الحكمة البحثية والحكمة الذوقية والحكمة الشيعية، ويُسنتج من أشعار الإمام أنّ علم العشق في نظره هو الحكمة الشيعية بعينها التي منبعها الأئمة:

نحن العشاق في قمة جبل الهداية

نبحث عن الروح الأمين في "سدرة المنتهى"<sup>44</sup>.

أنا فرهاد، وعشق شيرين يحرقني

أعيش على أمل اللقاء بحبيبي القديم<sup>45</sup>.

وعبر في بعض الأبيات عن مذهب العشق بالولاية الشيعية تحديداً:

أيقظ روعي قدح الساقى

أيقظ فيّ أشواقى،

والعاشق السكيرُ

خادم الحضرة صيرني،

روحي له الفداء، الساقى الجميل المحيّا

جرعةٌ من يده صيرتني [جمشيداً]،

وريقة مخضرةٌ من حديقته وهبتني رداءً،

فارغٌ بالي من هم الفردوسيين الضالّين

لمن أشكو هذا العاشق الفاتن

المودع باطن البئر سرّه كلّهُ<sup>46</sup>؟

### آثار العشق:

يعتقد الفلاسفة أن أفضل دليل للتحقق من وجود شيء ما هو آثار وجوده، وبخاصة الأمور المعنوية الصالحة للذكر فإنها تُعلم من آثارها. أما في النصوص الدينية والعرفانية فقد ذُكرت للمقامات المعنوية آثارٌ محددة، فإذا ظهرت تلك الآثار فذلك دليلٌ على تحقق المقام المقصود، وإلا بقيت في حدود الكلام والادعاء المحض. بهذا الأسلوب نفسه انتقد الإمام في بعض آثاره بعض الادعاءات، فهو حين يريد أن

<sup>43</sup> - م.ن ص 167.

<sup>44</sup> - نفسه ص 56.

<sup>45</sup> - نفسه ص 122.

<sup>46</sup> - نفسه ص 116.

يثبت أن ادعاء الإخلاص لدى بعض الأذعياء باطلٌ، يقول إنَّ علامة الإخلاص جريان الحكمة على اللسان، فإذا كان الإخلاص موجوداً، لم لا تخرج الحكم من أفواه المدّعين؟  
العشق أيضاً كلامٌ يدّعيه الجميع، لكنّ الادّعاء لا يستدعي المعاناة، كما أنّ تخيّل الماء لا يروي عطش الظمآن. لقد عدّد الإمام ميزات وآثاراً عديدةً للعشق، بعضها ظاهريٌّ وبعضها باطني، أما المحور الذي تدور حوله معظم صفات العشق، فهو فناء العاشق في المعشوق الأزليّ، وقلب الإنسان المتطهّر من الأنانية والوساوس الشيطانية يختاره الحقّ وجنود الرحمن مسكناً. وعلى هذا النحو أيضاً تظهر الصفات الأخرى كالصدق والعزيمة والسكينة، وخفة التحليق والتسليم والمثابرة على الخير، والسلامة والهداية والشجاعة، من تلقاء نفسها.

في ما يلي مثلاً على كلّ أثر من آثار العشق المتنوعة كما وردت في ديوان الإمام:

### 1- الفناء:

إن لم تكن أسير طلعتك فكن فراشة كنّ  
مقيّد أنت بالملك، لست أهلاً للفراشة،  
الانقطاع عن علائق الدنيا، منهج السكارى  
ذو اللون والرائحة، لا يليق بالخمارة<sup>47</sup>.  
هذا طريق العشق يتحقق داخل العدم  
يجب عليك من شدّة الشوق أن تصبح فراشة، أن تحترق<sup>48</sup>.

### 2- التخلي عن الدنيا والاستغناء عنها:

لا حاجة في سكر العشق هذا وفقدان الوعي  
من قرع باب الوجود الآن احتياجاً  
اقلع عن التجارة والرغائب  
فيذّ العشاق الآن ممدودة نحو الحبيب<sup>49</sup>.  
سالك طريق العشق أنا، متأدّ من الخرقه والتكيّة  
إلى العالمين لا أتوجه بقلبي المفعم بحبك<sup>50</sup>.  
ليس لعشاق وجهه منزلٌ أو عشّ  
فالتائر المهيبض الجناحين، لا يفكر بالحديقة والعش<sup>51</sup>.  
ابتليت في هذه الحانة بعشق درويش مشهديّ  
حلقت نحو ذاك المقام، وقد عيل صبري<sup>52</sup>.

<sup>47</sup> - الديوان ص 72.

<sup>48</sup> - م.ن ص 185.

<sup>49</sup> - م.ن ص 126.

<sup>50</sup> - م.ن ص 72.

<sup>51</sup> - م.ن ص 179.

<sup>52</sup> - م.ن ص 150.

أصابني همّ عشقك، لبتك لم تكن لي الدواء  
أنا لا أبحث عن متاع الدنيا، لبتك لم تكن متاعاً<sup>53</sup>.  
3- السكر وعدم الاهتمام بالذات:

طريق العشق وسنته خارجة من حسابي أنا وأنت  
من كان واعياً وصاحياً، لا تسكره المدامة<sup>54</sup>.

4- الإخلاص والابتعاد عن الرياء والغش:

إذا كنت سالكاً طريق العشق فاطرح الخرقة والسجادة  
بغير العشق لن تعثر على الطريق إلى هذا المنزل  
إذا كنت من أهل القلوب فاعرض عن الصوفي والزاهد  
فما من طريق في هذا المحفل إلا لأهل القلوب<sup>55</sup>.

أنت المفتون بالتسبيح، المنزوي في الدير  
لا تتأملن بقدر من شراب تلك الحانة  
بعثر السبحة وأسحقها في هذا الدير الخرب  
إذا كنت تبغي الاطلاع على سر الأسرار<sup>56</sup>.

5- الجنون:

طريق العلم والتعلّل غير طريق الجنون  
فناصب الشباك وناثر البذور ليس مجنوناً،  
اسكر، جنّ، تغرّب عن ذاتك  
فمعرفة الحبيب لا تتيسّر إلا بهذا التغرّب<sup>57</sup>.

6- الشجاعة، الجرأة، سلوك طريق الحقائق:

أسلمت، روعي للحبيب  
أبغي الوصال القريب  
أعداره همست بقلبي  
وزاد في قلبي اللهب  
والعقل طار  
ولو بقي لغيرته رؤية الحبيب<sup>58</sup>.

<sup>53</sup> - م.ن ص 124.

<sup>54</sup> - م.ن ص 70.

<sup>55</sup> - الديوان ص 67.

<sup>56</sup> - م.ن ص.ن.

<sup>57</sup> - م.ن ص 72.

في البحث عن معبد النيران  
هنالك يُسْفَحُ العقلُ  
الحبيب ديدنه الجفاءُ  
ليت الصدر يصبح درعاً واقياً<sup>59</sup>

#### 7- الابتلاء والمصيبة والألم:

أضرم نار العشق، ضاعف غم القلب  
والقلب المحزون، يتضاعف أنيه  
فبنار العشق يحترق، لا محالة  
أضرم في القلب النار، فتتوقف أناته<sup>60</sup>.

للتلم لمى الشفاه، يجب أن يفيض كأسُ الألم  
فضاعف الآلام، ولا تبحثنَّ عن العلاج<sup>61</sup>.

الأحرار يبحثون عن الألم  
ومذهب العشق أحزانٌ وآلامٌ،  
لا طبَّ يشفي  
وليس عاشقاً من يبغى التداوي  
نحن أهل العشق الفائض المُهم  
أعلنا الحرب على الأذعياء  
المعتكفين في المساجد<sup>62</sup>.

عشقك نارٌ، ونحنُ فيها كالخليل  
عشقك مقتلة نحن فيها  
حكماء بلا نظير<sup>63</sup>.

#### 8- مرمى الاتهام:

<sup>58</sup> - م.ن ص 107.

<sup>59</sup> - م.ن ص 79.

<sup>60</sup> - الديوان ص 112.

<sup>61</sup> - م.ن ص 185.

<sup>62</sup> - م.ن ص 51.

<sup>63</sup> - م.ن ص 163.

أنا قائد جموع العاشقين

أمر حبيبي الخائن

أن يغادر المدينة

فاسمى وسمعتي

مضغةُ البعيد والقريب<sup>64</sup>.

مالك الفؤاد أوقد في قلبي النار

فزهقت روعي، وافتضحت في الأسواق

وقعتُ أسيرَ ذوابتيك

ولاكتني الألسنة

في أحياء المدينة وأسواقها<sup>65</sup>.

أزلت قدمي، أمنيةُ لثم شعرك

فدللت عليّ الأصابع في الأسواق<sup>66</sup>.

#### 9- المثابرة:

إن طردتني من باب نوالك

أدخل من بابٍ آخر

لو أخرجتني من منزلك

لتسلقت الجدار<sup>67</sup>.

اقتحم العشاق الأبواب

اخترقوا الجدران

نحو السرّ الظاهر

من باب العشق المحكم<sup>68</sup>.

طردوني من حيك ذليلاً

فعدت واجتزت الصحراء محترق الفؤاد<sup>69</sup>.

<sup>64</sup> - م.ن ص 266

<sup>65</sup> - الديوان ص 142.

<sup>66</sup> - م.ن ص 144.

<sup>67</sup> - م.ن ص 143

<sup>68</sup> - م.ن ص 134.

<sup>69</sup> - م.ن ص 108.



شبيهةٌ بلقيسَ حسناً كالأغاني  
إن لم يُضنينا العشق لها  
لن نجد معبراً إلى قصر سليمان<sup>70</sup>.

#### 10- الهداية واليقين:

وغلّامٌ، آه من ذاك الغلام  
أيقظ روعي بكأس من مدام  
مهّد الدربَ أمامي فمشيت  
دون وعي، أنه الحبّ، الغرام<sup>71</sup>.  
نحن للحبّ هداية  
هذه الروح لدينا  
نمشي في سرّ النهاية  
سدرة الربّ هناك  
وبها نورٌ وآية<sup>72</sup>.

#### 11- التسليم:

اليّد لا تلمسُ خصلات شعره مجاناً  
عليك أن تدخلَ الطريقة  
وتستلبك ضفائره<sup>73</sup>.  
ما همك إن عشقت برضاك  
وأحنت الأوجاعَ ظهرك  
إن غيّرَ الشرق مكانه  
أو غيرَ الغربُ مكانه!<sup>74</sup>

أنا عاشقٌ لوجهك، عاشقٌ  
وليس لأي شيء آخر  
انقل هجرك أحملها  
وقلبي طائرٌ فرحاً<sup>75</sup>.

<sup>70</sup> - م.ن . ص.ن

<sup>71</sup> - الديوان، ص 116

<sup>72</sup> - م.ن ص 56.

<sup>73</sup> - م.ن ص 185.

<sup>74</sup> - م.ن ص 107.

12- روحية الخدمة لخلق الله:

في مذهب العشق  
كن خادم شيخ الحانة،  
ما من حاكم عادل  
سوى الساقى ذي الوجه الحسن  
في كفه كأس المدام<sup>76</sup>.

13- الصدق والوفاء:

من كأس العشق  
تذوقت  
شراب الوفاء والصدق،  
وأنا وفي، بقلبي وروحي  
لدى حانة العشق<sup>77</sup>.

14- التلعثم والاضطراب أمام المعشوق الأزلي والأبدي:

أنا مخمور، فلا تطلب  
أبيها المحبوب مني كلاماً،  
أخرس أنا معقود اللسان  
من الأخرس المضطرب الحال  
لا تطلبين كلاماً<sup>78</sup>.

أنى لك أن تعرف  
اضطراب حالنا أو عجزنا،  
أنى لك أن تعرف زلتنا  
وفضحتنا!<sup>79</sup>

سرّ القلب افتضح  
أمام المحبوب،  
حزن القلب والألم

<sup>75</sup> - من ص 154.

<sup>76</sup> - نفسه ص 110.

<sup>77</sup> - الديوان، ص 148.

<sup>78</sup> - نفسه، ص 177.

<sup>79</sup> - نفسه، ص 182.

الذي لا جدوى منه،  
في قلوبنا طوفان جارفٌ

فيا ربّ  
بأيّ تراب عجنت طينتنا؟<sup>80</sup>

أنا حزينٌ لفراقك أيها الجميل  
يا سالب الفؤاد،  
إنزع حجابي  
فأنا خجلٌ منك<sup>81</sup>.

اضطربت حالي من عشقك  
مهجتي ذابت،  
تلعثم لساني بسببك  
فقدت كياني<sup>82</sup>.

### 15 التوحّد والتمركز:

يا فاطمي، طهر القلب ونقه  
من حبّ الدنيا وعلائقها،  
إنزع من قلبك حبّ ذاك وهذا  
اختر حبيباً، جماله مطلقٌ  
لا حدود له،  
وقلبك نزهه  
عن الأمكنة والأكوان<sup>83</sup>.

### 16- قوة الإرادة، الألوهية، الربوبية:

<sup>80</sup> - الديوان ص 234.

<sup>81</sup> - م.ن ص 219.

<sup>82</sup> - م.ن ص 149.

<sup>83</sup> - م.ن ص 232.

فرهادَ كن  
واضرب بفأسك الجبلا  
من شدة العشق  
بفأسك اقلع الجبلا<sup>84</sup>.

في فنّ العشق  
تلميذ شيخ الخمارة كن،  
في التعالي على الخلق جميعاً  
كن انت الأستاذ<sup>85</sup>.

17- خفة التحليق، وعدم القناعة:

أنت لا ترى فقرنا ومظلوميتنا،  
لا ترى أنت خفة العاشق  
ولجاجته<sup>86</sup>.

18- وجه العاشق الظاهري [تأثير الباطن في الظاهر]:

العاشق يُعرف من لونه  
ومن لا قلب له يُعرف  
من ضيق صدره  
لا تقل إن سرّ عشقك  
"هندي"،  
ما حيلتي أنا، وحدّته ظاهرة<sup>87</sup>.

---

<sup>84</sup> - م.ن ص 231.

<sup>85</sup> - الديوان ص 129.

<sup>86</sup> - م.ن ص 182.

<sup>87</sup> - م.ن. ص.ن